The North African Journal of Scientific Publishing (NAJSP)
مجلة شمال إفريقيا للنشر العلمي (NAJSP)

Volume 1, Issue 2, April-June 2023, Page No: 47-57
Website: https://najsp.com/index.php/home/index

الجهود العلمية والفكرية للعلامة سيدي عبد الرحمن التغرغرتي المغربي (ت1278ه) وأثرها في بناء المجتمع

د. محمد الحسناوي *
باحث بسلك الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس المغرب

The Scientific and Intellectual Efforts of the Great Scholar Sidi Abd Al-Rahman Al-Tugharti Al-Maghribi (D. 1278 AH) and Their Impact on Building Society

Mohamed Elhasnaouy *
PhD Researcher, Faculty of Arts and Human Sciences Saiss, University of Mohamed Ben Abdullah, Fez, Morocco

*Corresponding author	elhasnaouy7med@gmail.com	*المؤلف المراسل
تاريخ النشر: 2023-04-11	**تاريخ القبول:** 2023-04-07	**تاريخ الاستلام:** 2023-03-11

الملخص

سأحاول من خلال هذه الدراسة المتواضعة، تسليط الضوء البحثي على أحد أعلام المغاربة، الذي أخذ على عاتقه مهمة التعليم والتبليغ في عصره حيث كان شغله الشاغل - رحمه الله - خدمة العلوم الدينية وإحياء سنة التحفيظ والتعليم لأبناء المسلمين[1]بعد وباء عام 1214هـ.[2]

وقد كان له دور بارز في تعليم الناس، فالناظر في التراث الفقهي والفكري الذي خلفه ليدرك تمام الإدراك لا محالة أن الرجل أوفى بما سطره في بداية مشواره العلمي والتعليمي بهذا التوفيق بين العلم والعمل أصبحت الزاوية التغرغرتية اشعاع ديني وعلمي، بفضل ما بذله من العناية التامة بالمجتمع.

الكلمات المفتاحية: الجهود، العلم، الفكر، عبد الرحمن التغرغرتي، المجتمع.

Abstract

I will try, through this modest study, to shed the light on research on one of the Moroccan figures, who took upon himself the task of teaching and reporting in his time, as his preoccupation - may God have mercy on him - was serving religious sciences and reviving the Sunnah of memorization and education for Muslim children after the epidemic of 1214, the Hijri date.

He had a prominent role in educating people, The one who looks at the jurisprudential and intellectual heritage that left him will inevitably realize that the man

[1] / تذييل التغرغرتي على الحضيكي، مخطوط في خزانة مدرسة الرحمن العتيقة بإمي ن- وادي التي أسسها سيدي عبد الرحمن التغرغرتي.
[2] / ينظر: الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، للأستاذ أحمد بن خالد الناصري:106/8.

fulfilled what he wrote at the beginning of his scientific and educational career with this reconciliation between science and work.

Keywords: Efforts, Science, thought, Abd al-Rahman al-Teggerti, Society.

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

مما لا ريب فيه أن في كل أفق من أفاق العالم الإسلامي أسماء رجال امتازوا بمواهب وعبقريات رفقتهم إلى الأوج الأعلى من أفاق العلم والمعرفة، وسجلت أسماؤهم في قائمة عظماء التاريخ، فأصبحوا نجوما لامعة ومصابيح ساطعة تلألأ في كبد السماء، فبرزت من نسج أيديهم أعمال تضيء لأهل الدنيا، فتستفيد من أنوارها البشرية، وفي مقدمتهم علماء مالكية الغرب الإسلامي.

وكان للواقع الذي يعرفه المجتمع أثر كبير في هذا الإنتاج العلمي الضخم والمتنوع من خلال تنزيل الأحكام على الوقائع والمستجدات التي تنزل بالناس، والتي تلامس حياتهم الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، من هؤلاء العلماء الأجلاء الذين أفنوا حياتهم في خدمة العلوم الدينية والإنسانية بهدف إصلاح الفرد والمجتمع، وربط تدينه بالدين الإسلامي الحنيف، هو العالم المحدث الفقيه سيدي عبد الرحمن التغرغرتي -رحمه الله- الذي بذل جهودا كبيرة في بناء المجتمع، فهو رجل عرف بموسوعيته التي ترجمها بنشاط علمي وبقلم غزير المداد ساهم به في مختلف حقول المعرفة، وفكره الثقافي الذي يعتبر زادا مشبعا ومقنعا في تربية الأفراد والجماعات، كان شغله الشاغل -رحمه الله- خدمة العلوم الدينية وإحياء سنة التحفيظ والتعليم لأبناء المسلمين[3] بعد وباء عام 1214هـ .[4]

فالرجل له مكانة علمية مرموقة جعلته محجة لطلاب العلم، يفدون إليه من كل حدب وصوب، لينهلوا من معينه الصافي، ويغترفوا من بحر علمه وفقهه، حيث عمل على الجمع بين العلوم في إطار وحدة متكاملة، لا يمكن الفصل بينها نظريا ولا تطبيقيا لصلتها بحياة الفرد والمجتمع، ولا زال أثره قائما في مدرسته ومؤلفاته التي خلفها وفي منطقته وفي المجتمع المغربي عموما.

هذا ما دفعني إلى الحديث عن هذا العالم لتسليط الضوء حول جهوده بعنوان: الجهود العلمية والفكرية لأبي زيد سيدي عبد الرحمن بن إبراهيم التغرغرتي السوسي المغربي، وأثرها في بناء المجتمع.

إشكالية البحث:

يتمحور هذا البحث حول إشكالية مركزية مفادها: ماهي أبرز الجهود العلمية والفكرية للعلامة سيدي عبد الرحمن التغرغرتي؟ هل لها أثر ملموس على أرض الواقع؟ وكيف ساهمت هذه الجهود في بناء الفرد والمجتمع؟

أهداف البحث:

يمكن أن نعدد أهداف البحث في كونها محاولة لإبراز مكانة الإمام المحدث سيدي عبد الرحمن التغرغرتي السوسي -رحمه الله- والاسهام في إحياء جانب من تراثه العلمي من خلال جهوده العلمية، وبيان أثره العلمي والفكري في بناء الفرد والمجتمع.

محاور البحث:

المحور الأول: العلامة سيدي عبد الرحمن التغرغرتي وحياته العلمية

[3] / تذييل التغرغرتي على الحضيكي، مخطوط في خزانة مدرسة الرحمن العتيقة بإ مي ن- وادي التي أسسها سيدي عبد الرحمن التغرغرتي.

[4] / ينظر: الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، للأستاذ أحمد بن خالد الناصري:106/8

المحور الثاني: أثر جهوده الفكرية والعلمية في بناء المجتمع
الخاتمة

المحور الأول: العلامة سيدي عبد الرحمن التغرغرتي وحياته العلمية:

1- اسمه ونسبه

هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن أحمد بن ويدر بن أحمد، من بني مبارك الداودي الوحليمي، من بني إسحاق،[5] المشهور بالتغرغرتي السوسي حتى أنه إذا أطلق التغرغرتي لا ينصرف إلا إليه.

كان فقيها محدثًا فاضلًا متقنًا وفيه يقول شيخنا البوجمعوي الدمناتي رحمه الله : "هو العالم محدث سوس الحافظ لا يعلم أعلم منه – في السند – في المشرق والمغرب"[6]

2- نشأته

نص الأستاذ الفاضل حفيد العلامة سيدي عبدالرحمن التغرغرتي عن سنة ولادة التغرغرتي قائلا: "ولد العلامة جدنا سيدي عبد الرحمن بقرية إمي ن– واداي ، تغرغرت –سنة1189هـــــــ. وقد حاول الزركلي في الأعلام أن يضع تاريخا تقريبا لولادته وهو 1200هـــ غير أن الظاهر أنه ولد قبل ذلك بقليل، ذلك أنه في عام الوباء 1214هـــ أدرك مدرك الرجال كما عبر عن ذلك في تراجمه لأشياخه الذين وافتهم المنية في عام 1214هـ،."[7]

فهو من أسرة علمية يقول حفيد العلامة:[8] ولد جدنا سيدي عبد الرحمن لأبوين كريمين، فأبوه إبراهيم " كان ذا همة عالية معلومة باتباع السنة لا تأخذ فيها هوادة"[9]

وتوفي أبوه هذا في وباء سنة1214وسيدي عبد الرحمن لا زال صغيرا وتربى في حجر أمه التي لعبت دورا كبيرا في تربيته ونشأته[10]

وعرفت أسرته في إمي نوادي بأسرة أيت الطالب أو أيت لفقيه وهي أسرة عالمة أبا عن جد تسلسل فيها العلم من أجيال"

3- رحلته في طلب العلم

بدأ هذه المرحلة في مسجد قريته حتى تعلم الكتابة والقراءة كما هو عادة المغاربة في بداية مشوارهم الدراسي، فقد لخص سيدي عبد الرحمن التغرغرتي مرحلته الأولى قائلا: " قرأت عليه كتاب الله برواية ورش وكان محققا وحفظت عنده الخرازي والبردة وقد أمرني أن ألعق من أصابعه بسيسا فرقه لطلبته وهو صائم فلعقته من أصابعه فأثر ذلك خيرا كثيرا في همتي، ولما ختمت وصححت عنده كتاب الله خرج من مدرسته راجلا وشيعني إلى خارج البلد..[11] هذا مما يدل على أن العلامة سيدي عبدالرحمن التغرغرتي رحمه الله كان يحظى بالحب والتقدير والتنويه لدى شيوخه وأقرانه قبل أن يحظى لدى عامة الناس.

4- شيوخه

تتلمذ سيدي عبد الرحمن التغرغرتي على يد أخيار العلماء في مسار تعليمه كما تتلمذ على يديه كبار العلماء، استجابة لتبليغ العلم والمعرفة وعدم كتمانه للعلم. وأهم شيوخه رحم الله الجميع ما ذكره العلامة المختار السوسي في المعسول، وما نص عليه سيدي عبد الرحمن في حياته:

---

[5] / مأخوذ من رسم قديم بقسم التوثيق بإغرم سنة 1974م ينظر: سيدي عبد الرحمن بن ابراهيم التغرغرتي الهوزالي؛ تأليف الحسين أيت بوالحسن السكتاني.

[6] / أجلى مساند على الرحمان في أعلى أساند علي بن سليمان البوجمعوي الدمناتي، طبعة حجرية، ص 9.

[7] / حياة العلامة سيدي عبد الرحمن التغرغرتي العلمية والعملية، ص،55. مقال للأستاذ عبد الرحمن المنذر حفيد العلامة.

[8] / حياة العلامة سيدي عبد الرحمن التغرغرتي. ص: 55.

[9] / خلال جزولة:131/3.

[10] ينظر: خلال جزولة، ص:131، ج3، مطبعة تطوان.

[11] / المعسولن مجلد18، ص 227.

1. العلامة عبد الله بن علي الإيرغي الجرفي (ت 1214هـ): هذا ما نص عليه رحمه الله: ومنهم شيخنا عبد الله بن علي رضي الله عنه هو الولي الكبير الصالح الشهير الناسك الزاهد الناصح في التعليم والتدريس...فكان يعلم كتاب الله تعالى للطلبة والمتعلمين طول عمره بجد واجتهاد ونصح ولطف لا يوجد في غيره، لا يقبل في تربيته إلا من دون البلوغ لقبول فطرتهم السياسية والتربية ولا يقبل غيرهم لسوء خلقهم ولما ينشأ من فساد المدرسة عنهم.

2. أبي بكر التاكموتي (ت1214هـ): قال فيه سيدي عبد الرحمن التغرغرتي: ومنهم شيخنا أبوبكر بن أحمد التاكموتي رضي الله عنه هو الفقيه العالم العامل المحدث الصوفي الكبير في الطريقة وفي الورع والزهد والذكر والتدريس.."

3. أبوعبد الله سيدي محمد بن أحمد من بني حساين الولتي (ت1251ه). وفيه قال: منهم شيخ الجماعة شيخنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الولتي كان كبار أولياء الله الصالحين ومن أهل الفضل والدين خاتمة المتصوفة والمحققين في جزولة وآخر من أحيا الله به مجالس الذكر في البلاد السوسية... اتفق على ولا يته الفقهاء والعلماء والجهال... ويحب الخلوة إلا عن العلماء وأهل الله تعالى يتعاهد ضيعته لكسب الحلال..."

4. سيدي أحمد بن محمد التمكدشتي (ت1274هـ) الذي قال فيه سيدي عبد الرحمن التغرغرتي: " ومنهم أحمد بن محمد التمكدشتي، هو شيخنا العالم العامل الزاهد الصالح الناصح الصوفي الكبير، تفقه به خلق كثير..."[12]

5. سيدي محمد بن أحمد الولتي من أقابز نكاض (ت1260هـ)

5- تلاميذه:

لقد تخرج على يد سيدي عبد الرحمن عدد لا يعد ولا يحصى ذكر المختار السوسي بعضا منهم فقال: محمد بن عبد الرحيم أحد أولاد ذلك العلامة الجليل... وهو نجيب محصل تخرج بوالده ولاتزال منسوخاته التي كتبها إبان الأخذ موجودة كنسخة من الدردير[13]

وسيدي محمد بن عبد الرحمن التغرغرتي يقول فيه المختار السوي: ... وسيدي محمد فقيه حسن مشارط، يفتي ويقضي، فظهر وأبوه لا يزال حيا، وقد لازم داره ولا يشارك في مدرسة، وقد يدرس في المدرسة التي أسسها والده إزاء داره، ومحلهم يسمى الزاوية منذ قام فيها الأستاذ عبد الرحيم بما قام به، توفي سيدي محمد 1296هـ.

1. محمد بن عبد الرحمن هو ابن رقية بنت ابراهيم، فالأستاذ خاله - وابن اخت القوم منهم- وقد لا زمه حتى تخرج به، فكان عالما حسنا، يقسم الأملاك، ويفتي ويحكم في النوازل، وقد كان يشارط في مدرسة سيدي سعيد بن احمد من (تيركت) الى أن توفي هناك نحو 1301هـ.[14]

2. سيدي محمد بن ابراهيم المغارتي السكتاني، ذكره العلامة المختار السوسي عند حديثه عن شيوخ سيدي عثمان بن الطاهر حفيد سيدي عبد الرحمن: وعن الأستاذ سيدي محمد بن إبراهيم الماغارتي السكتاني، وقد كان محمد ابن ابراهيم مدركًا لعبد الرحيم[15]، فأخذ عنه الشمائل والشفاء"[16]

سيدي محمد بن أحمد بن الحاج الأوداشتي ذكره العلامة المختار السوسي بقوله: ومنهم الفقيه محمد بن أحمد ولد من قبله وقد تخرج بأبيه وبعبد الرحيم، وقد كان في مدرسة تيريت بعد أبيه من (سكتانة) تأخرت وفاته إلى نحو 1318هـ"[17]

ح - ثناء العلماء عليه:

---

[12] / ذيل الطبقات، ص: 265 -271.
[13]/ المعسول 233/18.
[14] / المعسول234/18-235.
[15] / يقصد به سيدي عبد الرحمن التغرغرتي. حيث يعرف أيضا بسيدي عبد الرحيم التاغرغتي (ينظر: المعسول 221/18 -222.
[16] / المعسول235/18
[17] / المعسول 237/18.

من المعلوم أن علماءنا يستحقون كل التقدير والاحترام وفي شأنهم يقول المصطفى ﷺ: "من يريد الله به خيراً يفقهه في الدين" ويقول العلماء ورثة الأنبياء" هل هناك ثناء أكثر من ثناء المصطفى ﷺ في حقهم.

فالعلامة سيدي عبد الرحمن التغرغرتي عالم فقيه محدث بدون منازع وهذا كلام له شواهد تعززه من قبل كبار العلماء والسلاطين أول من أثنى عليه السلطان الجليل مولاي عبد الرحمن بن هاشم العلوي رحمة الله عليه في ظهير شريف أصدره من أجل توفير هذا الشيخ وأسرته.

من العلماء الذين أثنوا على فضيلته سيدي أبوبكر التاكموتي شيخ العلامة وهذا ما نص عليه: "ليس فيكم إلا عبد الرحمن التغرغرتي، وعبد المالك من فحص إرس" وقد تفرس فيه شيخه هذا مخايل الصلاح فدعا له قائلا: " أحسن الله عواقب أمورك"[18]

يقول فيه شيخنا البوجمعوي الدمناتي: "هو العالم محدث سوس الحافظ لا يعلم أعلم منه – في السند – في المشرق والمغرب"[19]

قال عنه العلامة السوسي: "علامة متفنن فاق الأقران، وبذ في الميدان، وطارت له شهرته غبرت في وجوه المبارين... وكانت له عناية بالحديث، وليس في سوس من معاصريه من له في مثل ذلك، وله شهرة اصلاحية اعتقادية في جانب في سمعته العلمية"[20]

المحور الثاني: جهود العلامة سيدي عبد الرحمن التغرغرتي العلمية والفكرية وأثارها في بناء المجتمع

مما لا شك فيه أن العلامة سيدي عبد الرحمن التغرغرتي نشأ في عصر يمتاز بعوامل أهمها الاستقرار السياسي والازدهار العلمي مما سهمت في إنتاج جهوده العلمية والفكرية وهو أو آخر عهد الملك المصلح المولى محمد بن عبد الله العلوي حيث حظيت فيئة العلماء بمكانة متميزة وعناية كبيرة من قبل ملوك المغرب، باعتبار تمكن هذه الفيئة من المعرفة الدينية واستنباط الأحكام والاجتهاد الفقهي ومواكبتهم لقضايا المجتمع، وهذا ما نص عليه حفيد العلامة سيدي عبد الرحمن المنذر التغرغرتي قائلا " لقد تداخلت عدة عوامل في تكوين جدنا وتأثره والتأثير فيه، ومن العوامل التي ساعدته على البروز والظهور عصره الذي يمتاز بالاستقرار السياسي وبالازدهار العلمي، فقد أدرك محدثنا أواخر عهد الملك المصلح المولى محمد بن عبد الله العلوي الذي كان محبا للعلماء وأهل الخير . مقربا لهم، لا يغيبون عن مجلسه في أكثر الأوقات"[21]

ولم يشذ زمن المولى سليمان بن محمد العلوي عن هذه القاعدة كذلك، فقد كان رحمه الله عدلا رفيقا بالرعية[22] وكان يجمع أعيان العلماء لسرد الحديث الشريف وتفهمه، والمذاكرة فيه على مر الليالي والأيام، ويتأكد ذلك عنده في رمضان ويشاركهم بغزارة علمه، ويعظم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ويرفع مناصبهم على سائر رجال دولته، حتى لقد تنافس الناس في أيامه في اقتناء العلوم، وانتحال صناعتها لاعتزاز العلم وأهله في دولته وسعة أرزاقهم.[23]

هذه العوامل وغيرها ساهمت في الجهود العلمية والفكرية لدى العلامة المحدث سيدي عبد الرحمان التغرغرتي، بل تسلح سيدي عبد الرحمن التغرغرتي بعزم ويقين ونية صالحة من أجل بناء مجتمع متماسك، وهذا ما يشير إليه العلامة المختار السوسي قائلا: "فنشأ نشأة طيبة لا يرى إلا المصلحة فنوى

---

[18] / المعسول:231/18.

[19] / أجلى مساند على الرحمان في أعلى أساند علي بن سليمان البوجمعوي الدمناتي، طبعة حجرية، ص 9.

[20] / رجالات العلم العربي في سوسن ص: 219.

[21] /الاستقصاء للناصري: 66/8، ينظر حياة العلامة سيدي عبد الرحمن التغرغرتي العلمية والعملية لحفيد العلامة الاستاذ سيدي عبد الرحمن المنذر حفظه الله.

[22] الاستقصاء269/8.

[23] / الاستقصاء 170/8.

أن يقوم بالعمل الصالح للامة ولذلك نوى أن يفرغ جهده في تعليم أولاد الناس الذين نشأوا إثر الوباء الجارف سنة1214هـــــ."[24] ويحمل على عاتقه هم تغيير واقع الأمة الإسلامية في عصره وإصلاحها

ومن هنا يتضح أن سيدي عبد الرحمن التغرغرتي ليس رجلا عاديا، بل هو رجل ثاقب حيث ينظر للمستقبل البعيد منذ صغره وعلم أنه لا بد من الفداء والتضحية من أجل بناء المجتمع وإصلاحه ووضع منهجا فريدا من نوعه وهو تعليم أولاد المسلمين حيث أدرك أن زكاة العلم وإنفاقه في تعليم الناس.

واختار تعليم الأولاد لكونهم يمثلون محور الحياة الاجتماعية فهم الفيئة المستهدفة في كل مجتمع وفي كل عصر وأول ما بدأ به أنه أسس الزاوية لاشتهاره بالعلم والتصوف، ولنفوذه الروحي بين قبائل المنطقة، وازدهرت في عهد حفيده سيدي وشيخي الحاج الطيب المنذر -حفظه الله- يقول حفيده سيدي عبد الرحمن المنذر -حفظه الله- : "لما تخرج جدنا على يد شيوخه العظام، أحس بثقل المسؤولية والأمانة التي تحملها، فقرر مزاولة التحفيظ والتدريس، فاستشار أحد الأولياء الصالحين في إحياء سنة التعليم، فأسس هذه الزاوية العظيمة بناء على تلك الرغبة، وقد عمل هنا[25] محفظًا ومدرساً ومربيًا، كما اعتنى بإحياء مدارس أخرى وتأسيس مدارس جديدة، نشرا للعلم وتعليما لأبناء المسلمين، وإبقاء على عهد السلف الصالح من العلماء الذين تربى على أيديهم فنصحوه بإحياء التعليم". والدافع الأساسي في هذه الجهود العلمية والفكرية المباركة يرجع إلى ما حدث في عام 1214هـــ، فقد مات فيه الناس بسبب الوباء" الوباء بالمغرب وعم حواضره وبواديه وبقي الناس هملا لموت العلماء والصالحين والطلبة جملة، إلا النادر في بعض البلاد" وهذا ما حز في نفس العلامة سيدي عبد الرحمن التغرغرتي، أن رأى البوادي خالية من حفظة القرآن الكريم بعد هذا الوباء فعزم على إحياء سنة التحفيظ والتعليم لأبناء المسلمين، فارتحل إلى العالم الرباني سيدي علي بن سعيد الهلالي زائرا ومستشيرا له في هذا الأمر.[26]

فمن العلوم التي درسها وعلمها وانتفع بها ونفع بها الناس[27]:

- العربية نحوا وبلاغة عن طريق المتون المعروفة " الآجرومية والالفية إلى آخره
- الفقه المالكي عن طريق المرشد المعين والرسالة ومختصر خليل وغيرها.
- الحديث النبوي الشريف عن طريق صحيح البخاري ومسلم والجامع الصغير والموطأ وغيرها من كتب الحديث
- السيرة النبوية عن طريق الشفاء للقاضي عياض
- العقيدة عن طريق السنوسية وإحياء علوم الدين للغزالي
- التفسير عن طريق القرطبي وابن العربي والجلالين
- القراءات: قراءة نافع على منظومة الدرر اللوامع لابن بري، ولم يقتصر على ما يروج في المدارس آنذاك، بل حاول أن يقتحم المجالات المعرفية التي لم يطرقها العلماء إلا نادرا في هذا الأصقاع، مثل التاريخ عن طريق ذيل الطبقات، ومثل الفلاحة التي مارسها تأليفا، والتوقيت الذي ضمن بعض فوائده كتابه في الفلاحة، وتحدث عن بعض العلوم التي درسها لدى ترجمته عن شيخه أبي بكر التاكومتي قائلا: قرأت عليه الأجرومية وصغرى السنوسي والخرازي وابن بري والرسالة والفية ابن مالك وربع المختصر وسمعت منه بعض البخاري وبعض الجوامع الصغير للسيوطي، ولكن فهمي يومئذ قصير، وهمتي لصغري ضعيفة[28]

وعلق على هذا الكلام سيدي عبد الرحمان المنذر حفيد العلامة سيدي عبد الرحمن التغرغرتي قائلا: " ولم يكن هذا إلا تواضعا من جدنا الأكبر، والا فهو من أحسن طلبة التاكموتي، وهو الذي يقول لطلبته: ليس فيكم إلا عبد الرحمن التغرغرتي، وعبد المالك من فحص إرس" وقد تفرس فيه شيخه هذا مخايل الصلاح فدعا له قائلا: " أحسن الله عواقب أمورك[29]

---

[24] /المعسول مجلد 18، ص 222.

[25] / يشير الى الزاوية التى أسسها جده.

[26] / الزاوية التغرغرتية ماضيا وحاضرا للدكتور محمد حيان.

[27] / حياة العلامة سيدي عبد الرحمن التغرغرتي العلمية والعملية للباحث سيدي عبد الرحمان المنذر حفيد العلامة.

[28] / المعسول231/18.

[29] / المعسول:231/18.

● مؤسساته العلمية:

أسس العلامة سدي عبد الرحمن التغرغرتي مجموعة من المدارس وأحيا فيها التعليم وهذا ما نص عليه حفيده الاستاذ عبد الرحمن المنذر -حفظه الله-:

1- مدرسة تامورت التي توجد بجماعة زاكموزن غرب تاليوين، قال عمر الساحلي عنها: أسسها الفقيه السيد عبد الرحمن التغرغرتي، وتبعه فيها سيدي عبد الله بن وحمان قبل 1290هـ حسب ما حكي لنا ولده رضا إسماعيل"[30]

2- مدرسة سيدي عبد العزيز بإماديدن، سكتانة، وقد أوقف عليها الجد نسخة للبخاري ومختصره لشرح القسطلاني.

3- مدرسة سيدي سعيد أحماد بفرقة تيركت جنوب أولوز، وقد أدت دورا في تثقف النشء وتعليمهم مدة مديدة من الزمان

4- مدرسة سيدي إبراهيم أعمر بإداوْزدّوت

5- المدرسة الكربانية عند مشهد سيدي محمد بن مسعود الكرباني، وعلق قائلا: وليست هذه الحركة العلمية إلا دليلا قاطعا على همة جدنا العظيمة وجهاده المتواصل وحبه للعلم وللقرآن، وتفانيه في تعليم أبناء المسلمين وتشجيع العلم الشرعي في هذه الربوع.

وقد عرفت الزاوية التغرغرتية حركة علمية لا يستهان بها، فلم تكن مجرد بناية لأداء الصلاة وتلاوة الذكر وإطعام الطعام فحسب، بل أصبحت مركزا علميا يستهوي قلوب الناس بما تبثه من إشعاع روحي وثقافي يشمل أنواع العلوم والمعارف، وكانت طرق التدريس في زاويته قويمة صحيحة تتصل بالمتون الكبرى. فالعلامة سيدي عبد الرحمن التغرغرتي له أثار كبير في توجيه المجتمع المغربي، بما نشروه من دعائم العلم والمعرفة.

هذا يؤكد أن شغله الشاغل هو إحياء العلوم الدينية من أجل بناء مجتمع متماسك تميز منهجه العلمي والتعليمي بتكوين آخر لا نرى في عصرنا الحالي نظيره في ذلك إنه الجمع بين التعليم والحرف المهنية الشريفة فطريقته تجمع بين التعليم في القسم والتعليم في الحقل، فقد ورد أنه عندما ينتهي من أنصبته الدراسية في المدرسة يخرج بتلامذته وطلبته إلى الحقول لتعليمهم نوعا آخر من التعليم يكاد الفقيه سيدي عبد الرحمن التغرغرتي ينفرد به.

فقد أشار العلامة المختار السوسي إلى أنه يخرج بتلامذته إلى الحقول يدربهم على غرس الأشجار والعناية بها، وهو جانب مهم في التربية لم يعرفه غيره من القراء والعلماء في هذه البلاد فيما نعلم، واستمر على هذه المهمة مدة من الزمن، وهذا يفسر اهتمامه بتلخيص كتاب " البركة في مدح السعي والحركة". اهتم التغرغرتي بأمور الدنيا حيث يعتني بغرس الأشجار بيده كاللوز والتين الشوكي، ويعد له ألف شجرة أدركت كلها وتؤتي أكلها تحت بصره وكان كلما حفظ تلاميذه أو فرغ من دروسه يذهب بالطلبة إلى معاينة الغرس ويريهم كيف يصنعون، وكان ولا يزال كل ما غرسه موجود إلى الآن ولم يكن الفأس والقفة يفارقانه إزاءه"[31]

فقد كان الاستاذ يعمل بنفسه في حقله، وعادته أن يلازم تلاميذ القرآن في مسجد القرية حتى يحفظوا، ويطلقهم ثم يعمد إلى المسحاة والقفة، وهما لا تفارقان جنبيه في المسجد، فيخرج إلى غرس أشجار اللوز، وقد عد في تركته ألف شجرة من اللوز المثمر مما غرس بيده"[32] وقد استقى هذا المبدأ من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول: أفضل الكسب بيع مبرور، وعمل الرجل بيده[33] وقد كانت لديه خبرة واسعة في ميدان الزراعة وكيفيتها وطرقها، وله تجارب عملية في ذلك لما كان يعانيه من غرس الأشجار وزراعة الأرض، وقد تجمعت لديه معلومات ضافية وطرق بديعة أودعها "مختصرا" له مفيدا في الزراعة

---

[30] / المدارس العلمية العتيقة بسوس:288/4.
[31] / ينظر: المعسول، مجلد18 ص222.
[32] / خلال جزلولة132/3.
[33] /رواه أحمد والطبراني: كنز العمال:192/4.

والغرس. ..ومما جاء فيه من قواعد الغراسة وأو قاتها: وأبدأ بالغراسة من أول يناير إلى وسط مارس، وفي هذه المدة فاغرس جميع الغروس، فإنه أسرع لنباته، وأعجل لحملهن وخير وقت لغرس جميع أصناف الثمار والتفاح والكرم والورد والريحان، وأجود وقت لقطع الغرس وغرسه في يناير إذا تأخر القمر من ليلة ستة عشر إلى آخر الشهر، فإن الغرس حينئذ يكون بمشيئة الله عز وجل ولودا حمالا طيبا" والسبب الحامل لجدنا على تأليف هذا المختصر المفيد هو إيقاظ همم الناس وحملهم على التوكل على الله، والخروج من الدعة والسكون، كما أشار إلى ذلك في مقدمة " مفتاح البركة" والاقتداء في ذلك بعلماء السلف الصالح الذين كانوا يعملون ويتاجرون ويمتهنون منها وحرفا شريفة، فقد كان فيهم الزيات والسمان والخياط والبزار وغير ذلك من الحرف الحسنة المباحة.

- **جهوده الحديثية:**

تتجلى جهوده الحديثية فيما تركه من مؤلفات في هذا المجال وعنايته الخاصة بالمختصرات الحديثية فقد خلف مؤلفات عدة في هذا الصدد وأغلبها اختصارات لشروح حديثية وفيه يقول محمد عمر بن محمد الشنقيطي الجكني في منظومته قائلا[34]:

في كل فن ألف العلامة *** شيخ الهداة الحجة الفهامة
وفي التأليف بسهم صائب *** ألف لم يك الزمان خائب
لا سيما في السنة المصونة *** الدرة المخزونة المكنونة

يقول حفيده سيدي عبد الرحمان المنذر وقد خط قلمه من المؤلفات والمختصرات شيئا كثيرا ضاع بعضه، وبقي بعضه في خزانة المدرسة شاهدا على مكانته العلمية وجهوده المتواصلة في البحث والشرح والاختصار والتقريب، والمتأمل في هذه المؤلفات والمختصرات يجدها تعكس تأثره بعصره وشيوخه، فلا غرو ولا عجب إن كانت سوق الحديث رائجة، وسلعته نافقة في مجلسه، وما ذلك إلا إشارة من شيخه المحدث أبي عبد الله محمد بن أحمد الولتي الذي أذن له في اختصار كتاب " إرشاد الساري" للقسطلاني قائلا: وفي الخبر: من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل"

وهذا الإذن هو الذي حرك همته نحو التأليف والاختصار والإفادة جريا على عادتهم في استئذان شيوخهم في كل عمل ينوون القيام به، كما عكست تأليفه في التصوف تأثره بشيوخه الذين لهم أثر كبير في تربيته وتزكيته نفسه، ولذلك أسهم في هذا الميدان تأليفا واختصارا" منها:

- فرع إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري
- أنوار منهاج المحدثين ومختصر ألفاظه للمهتدين
- مختصر السراج المنير للإمام العزيز على الجامع الصغير للسيوطي
- مختصر نسيم الرياض في بيان ما أشكل من كلام عياض.
- المختصر من الصحيحين
- مختصر شرح جسوس على الشمائل النبوية للترمذي
- مختصر شرح الفيشي للأربعين النووية

وقد ذكر المختار السوسي أن كل هذه المؤلفات توجد بخط مؤلفها في خزانة حفيده سيدي عثمان.[35]

لقد اعتاد جدنا سيدي عبد الرحمان التغرغرتي أن يدرس البخاري في زاويته التغرغرتية جريا على ما كان عليه العمل في زوايا المغرب ومجالسه الخاصة والعامة، غير أنه يؤجل ختام صحيح البخاري إلى اليوم السابع من ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم خلافا لما عليه العمل، وكانت تعد لسرد البخاري وختامه ما يحتاج إليه الزوار والحاضرون من الطلبة والفقهاء والعلماء والشرفاء والفقراء والصالحين من طعام وشراب، وقد استمر ذلك في عهده، فلما قرب أجله أو قف على ذلك ربع تركته استمرارا لهذه السنة

---

[34] فوح الطيب من حياة العلامة الطيب، لمحمد حيان، ص،342.
[35] المعسول للمختار السوسي، ج 18.

الحميدة، فقال في وصيته المشهورة " وكتب الحديث وشراحه والسير واللغة ومدح المصطفى ﷺ ، فحبس الله تقرأ في رمضان، وتختم في سابع عيد المولد من كل سنة، وقد حبست على قراءتها وإصلاح ما فسد منها، واجرة قرائه، ما ردته جبة بين علي إلى الجير أرضا وشجرا ومياها"[36]

ولم يكتفي بسرد البخاري في زاويته بإمي نواداي، بل أقامه في المدارس التي أسسها وجدد التعليم فيها، وأوقف عليها نسخا من البخاري ومختصره لشرح القسطلاني وقد خالف توقيت الختم في هذه المدارس حتى يتسنى له حضور الختم في الجميع، أول المدارس ختمًا هي مدرسة تامورت التي يختم فيها في الثالث من شوال، تليها مدرسة سيدي عبد الله أبورزك في الثامن منه، ثم مدرسة سيدي سعيد أحمد بتيركت في الخامس عشر منه، أما المدرسة العزيزية فالختام فيها يكون في الخميس الأول من غشت الفلاحي.

وقد استمر نظام سرد البخاري وختامه بعد موت جدنا رحمه الله رغم الفتور الذي عرفته الدراسة في الزاوية إلى أن جاء عهد والدنا الكريم الدي طور الموسم، وجعله موئلا للعلماء، ومثابة للصالحين، يحضره المحبون من كل مناطق المغرب[37]

وقد أوقف أراضيه الزراعية وما تجود به من أشجار اللوز وثماره على الزاوية وسرد البخاري حيث قسم الثلثين اللذين ناباه من إرث أبيه إلى ثلاثة أثلاث: ثلثين له ولأولاده، وثلثا جعله وقفا على الزاوية وقراءة " البخاري" في رمضان وختامه في 19 ربيع الأول، ولا زال هذا الثلث معروفا بملك البخاري لدى أسرة أيت الفقيه الكبيرة في إمي ن- واداي. وقد كانت قبيلة تغرغرت كعادة القبائل آنذاك تقدم ثلث أعشارها لزاوية الناصرية بتمكروت، وقد تخلت عن هذه الأعشار لصالح زاوية أيت حساين، ولما افتتح سيدي عبد الرحمن الزاوية تنازلت زاوية أيت احساين عنها لفائدة تغرغرت، وتعد من هذا الثلث وجبة العصر(أكاز) للطلبة، وتتكون غالبا من الكسكس... ولم تنقطع القبيلة عن تقديم هذه الأعشار الا في أوائل الثمانيات بعد انتشار هذه الفتوى التي تبدع في كل شيء.[38]

●جهوده في علم التصوف:

يعتبر هذا العلم من أهم العلوم التي اهتم بها سيدي عبد الرحمن التغرغرتي بعد علم الحديث حيث خصص له جانبا مهما من مؤلفاته منها:

"مفتاح البركة" الذي اختصره من "كتاب البركة" فاسمه الكامل هو كتاب البركة في فضل السعي والحركة، وما ينجي من الهلكة" وانتهى من نسخه يوم الثلاثاء الخامس عشر جمادي الثانية سنة 984هـ. معنى ذلك أنه اقتصر عمله فيه على تلخيص كتاب الإمام الحبشي المسمى كتاب البركة وبالتالي فإن مختصر التغرغرتي " مفتاح البركة" جاء في هيكله العام موافقا للكتاب الأصل.

وتوجد نسخة في خزانة مدرسته بخط محمد بن أحمد الأودشتي الهوزالي، وكان الفراغ منه في جمادي الأولى عام 1246ه. تناول فيه النية الصالحة وفضل امتهان النفس في طلب الرزق والسعي على العيال والكسب... وفي الباب الثاني: في تنمية الأرض. وفي الباب الثالث: فيما يكثر في الأسباب البركة وينفي الفقر... وفي الباب الرابع: في الطلب والمنافع المصححة الأبدان... الباب الخامس في الأذكار والدعوات المباركات.. وفي الباب السادس: فيما يورث البركة من الأدعية والأذكار وأسماء الله الحسنى.[39]

مختصر شرح الإمام زروق: قال فيه التغرغرتي: " وهذا مختصر من الشرح لأبي العباس أحمد بن محمد المعروف ب" زروق" الذي أوضح فيه معاني حكم تاج الدين وترجمان العارفين أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندري المالكي لخصت منه ما تعلق بما لفظت من ألفاظ كتاب الحكم لمن قصرت همته مثلي..."

قصيدة بالعجمية: مختصرا من إحياء علوم الدين للغزالي وكتب الإمام زروق.

---

[36] / الوصية ، مخطوطة.

[37] منشورات المجلس العلمي المحلي لتارودانت، ص:67-68.

[38] ينظر: منشورات المجلس العلمي المحلي لتارودانت، ص:160.

[39] مفتاح البركة للتغرغرتي عبد الرحمن (مخطوطة) في ملك خزانة مدرسة إمي نوادي.

●جهوده في التاريخ:

مما يدل على عناية سيدي عبد الرحمن التغرغرتي بالتاريخ ما ذكره المختار السوسي في المعسول: ومنها مختصر من طبقات الإمام الشعراني ومناقب شيخ شيوخنا ذكرت فيه أعيان السلف الصالح والتابعين والمؤلفين من علماء الأئمة والصالحين المشهورين بإغاثة الملهوفين بعد موتهم رضي الله عنهم[40]

معنى ذلك أن العلامة سيدي عبد الرحمن اختصر كتاب طبقات الأولياء للشعراني، وكتاب الطبقات لشيخ شيوخه الحضيكي، فكتب تراجم علماء بلده ذيلا وتتميما " للطبقات" التي اختصرها.

بلغ عدد المترجمين في" ذيل الطبقات" للتغرغرتي28 شخصا، مع العلم أن شخصية واحدة من هذه الشخصيات ترجمها مرتين: مرة في الترجمة الثامنة، مرة في الترجمة الرابعة والعشرين مع اختلاف يسير في المعطيات الواردة في الترجمتين، وبذلك يكون مجموع من ترجموا في هذا الكتاب 27 شخصا.[41]

●جهوده في المعارف الأخرى:

للتغرغرتي كتاب في الفلاحة وفيه يقول الأستاذ المتوكل عمر الساحلي: أخبرني حفيده سيدي عثمان أن لجده عبد الرحمن هذا مؤلفا في الفلاحة، وأنه زار سيدي محمد بن العربي العلوي في الرباط أيام كان وزيرا للعدل حين قدم للرباط يشتكي بالعرف الذي أحدثه الفرنسيون بناحية إغرم، وأطلعه على الكتاب أو أخبره به فاقترح عليه الفقيه ابن العربي أن يقوم بطبعه غير أن سيدي عثمان تردد حتى ضاعت الفرصة"[42]

ويقول المختار السوسي: " وقد رأينا ما يدل على أنه زاول مسند أحمد وبقية الكتب الستة، فرحم الله تلك الهمم"[43]

بمعنى أن الرجل حينما يريد أن يؤلف أو يختصر مادة ما ينطلق من الواقع الى ما يحتاج اليه المجتمع ويبادر بتأليفه وتدريسه أنه ربط بين الواقع والعلم فالذي جعله يهتم بتلخيص كتاب البركة في مدح السعي والحركة هو واقع الناس وما تعيشه الأمة من نقصان المعيشة أنداك...

فقد هيأ الله عز وجل لأمتنا الاسلامية عبر تاريخها عددا من المصلحين المخلصين، نذروا حياتهم لعلاج مشكلات الأمة وتحقيق الإصلاح للامة وبناء المجتمع انطلاقا من العلوم الدينية ويؤمنون بوجود علاقة عضوية بين مختلف مجالات العلوم وجعلوا الشباب محور الحياة الاجتماعية.

وعموماً فالعلامة سيدي عبد الرحمن التغرغرتي بذل جهودا علمية وفكرية من أجل تحقيق اصلاح الأمة وبناءها وبالفعل تحقق مراده ولا زالت ثماره تعطي أكلها إلى وقتنا الحاضر فالزاوية التغرغرتية ظلت منذ تأسيسها مركزا علميا بل أصبحت قبلة المتعلمين من كل الآفاق حيث ساهم في الحركة العلمية والفكرية بما يوافق ويناسب أمر المغاربة في اعتقاداتهم وتدينهم ومعاملاتهم اليومية، فعمل على إقرار المذهب المالكي والمذهب الأشعري والتصوف السني على طريقة الجنيد السالك، وآثاره الديني والعلمي والثقافي في بناء المجتمع وأضح لا ينكره إلا جاحد، حتى إن ذكر المحدث المغربي في عصره لا ينصرف إلا اليه.

فلعلي أن أكون قد وفيت العلامة سيدي عبد الرحمن التغرغرتي – رحمه الله – بعض حقه علينا في هذه المداخلة وعرفت بعطائه الفكري وثراته العلمي.

المراجع

1. أجلى مساند على الرحمان في أعلى أساند علي بن سليمان البوجمعاوي الدمناتي، طبعة حجرية.
2. الأجوبة الفاضلة والأسئلة العشرة الكاملة للكنوي.

---

[40] المعسول، ج18 ص:232.
[41] ينظر: ذيل الطبقات للتغرغرتي، مخطوط، ص 18.
[42] المدارس العتيقة بسوس، ج 4 ص:67.
[43] المعسول ج،18ص224.

3. الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، للأستاذ أبي العباس شهاب الدين أحمد بن خالد بن لاحماد الناصري الدرعي السلاوي (ت1315هـ.) اعتنى به محمد عثمان. الطبعة الأولى، 1428هـ -2007م.
4. الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين/ للزركلي، دار الملايين، بيروت.
5. تذييل التغرغرتي على الحضيكي، مخطوط في خزانة مدرسة الرحمن العتيقة بإ مي ن- وادي التي أسسها سيدي عبد الرحمن التغرغرتي.
6. خلال جزولة محمد مختار السوسي مطبعة تطوان.
7. دليل مؤرخ المغرب الأقصى. د. عبد السلام بن عبد القادر بن سودة المري، مطبعة دار الكتاب.
8. رجالات العلم العربي في سوس العلامة المختار السوسي، مطبعة مؤسسة التغليف والطباعة والنشر- طنجة.
9. الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي للحجوي، المكتبة العلمية المدينة المنورة.
10. فوح الطيب الطيب من حياة العلامة الطيب، لمحمد حيان.
11. مجلة كلية الآداب-الرباط- عدد مزدوج. 3-4.
12. مختصر أمهات الوثائق وما يتعلق بها من العلائق / داود التملي تحقيق محمد البوشواري.
13. مدارس سوس العتيقة، محمد المختار السوسي – مطبعة مؤسسة التغليف والطباعة والنشر- طنجة.
14. المعسول للعلامة محمد المختار السوسي، مطبعة الشرف الإفريقية الرباط 1961.
15. مفتاح البركة للتغرغرتي عبد الرحمن (مخطوطة) في ملك خزانة مدرسة إمي نوادي.
16. مناقب الحضيكي المطبعة العربية درب غلف البيضاء الطبعة الأولى 1355.
17. منشورات المجلس العلمي المحلي لتارودانت.
18. الوصية، مخطوطة. توجد بخزانة سيدي عبد الرحمن التغرغرتي. إمي نوادي اقليم تارودانت المغرب.